# المحاضرة الثانية عشر

## الرواية العربية المعاصرة نشأتها وتطورها

تمهيد : نشأت الرواية العربية نشأة حديثة تعود إلى بداية القرن العشرين أو قبله بقليل، فإذا ما اجتهد الكاتب في تأصيل النشأة، وقد كان مصر الريادة في هذا الميدان، حيث استطاعت أن تنتبه إلى هذا الفن الجديد، ثم تنبهت إلى ضرورة خلق مثله في مصر والعالم العربي.

1 - إرهاصات الفن الروائي العربي : بدأ فن القصة منذ العقد الأول من القرن السالف - يشق طريقه إلى الوجود، وأخذ بعض الأدباء يصوغ تجاربه العنيفة في شكل روائي بإيمانا منه، أن الرواية شكل من أشكال التعبير الأدبي، ينبغي أن يأخذ حظه من الإهتمام، ثم تتابع ظهور بعض الأعمال الروائية من حين إلى آخر.

غير أن الإزدهار الحقيقي الذي شهده فن الرواية، كان في الفترة التي أعقبت الحرب العالمية الثانية، نتيجة شرايه وعي الكتاب بأصول هذا الفن، واطلاعهم على نماذجهم الرفيعة في الآداب الأجنبية، كما يه أثر بعض الكتاب بهذا المنهج الأدبي أو ذاك في زاوية الرؤية وطريقة التناول وتعد رواية زينب، التي كتبها الدكتور محمد حسين هيكل* أثناء توجيه بفرنسا ونشرها سنة 1912 وهو الميلاد الحقيقي للرواية المصرية في رأي كثير من النقاد والباحثين، فإذا انتقل بها من الترفيه والتسلية، إلى التعبير عن تجربة إنسانية مصرية، ويرجع الباحثون نضج هذه الرواية النسبي بالقياس إلى ما سبقها من أعمال روائية، إلى الثقافة الأوربية التي نهل من الدكتور هيكل عندما كان طالبا في باريس أين تحصل على شهادة الدكتوراه في الحقوق، إضافة إلى اقترابه الشديد من واقع الحياة المصرية وتعبيره عنها تعبيرا ينم عن إحساسه بها وتفاعله معها.①

2 - ميلاد الفن الروائي وتطوره : يتعثر مسار الرواية العربية بعد محاولة الدكتور حسن هيكل إلى حين، فلا يعرف القراء إلا تلك المحاولة الساذجة لعيسى عبيد في روايته "ثريا" وذلك سنة 1922

* محمد حسين هيكل (1888 - 1956) شاعر وأديب وسياسي مصري، تقلد العديد من المناصب السياسية من مؤلفاته رواية زينب - في أوقات الفراغ - ولدي، هكذا خلقت - ثورة الأدب - حياة محمد - في منزل الوحي - الإيمان والعرفة والفلسفة.

① - ينظر: شفيع السيد : اتجاهات الرواية العربية ص 13.

ثم رواية تاريخية لـ محمد فريد أبو حديد بعنوان "ابنة الملوك" سنة 1926 وأخيرا رواية "إبراهيم الكاتب" لعبد القادر المازني سنة 1931، هذه الأخيرة هي التي أنهت دور الفجر ليبدأ دور جديد ناضج تمثل في ظهور رواية "عودة الروح" لتوفيق الحكيم سنة 1932 غير أن الحكيم لم يكمل مساره الروائي، لأنه تحول إلى الكتابة في مجالات أخرى*

3- نجيب محفوظ وتطور الفن الروائي:

لقد تحمل نجيب محفوظ، أعباء المرحلة الجديدة، في تاريخ الرواية المصرية منذ منتصف الثلاثينيات، مستكملا ملامح وجهها الواقعي في تعبيره الأصيل على المستوى الحضاري، الذي بلغه المجتمع المصري حينذاك، ومحاولة صياغة وجهها الأصيل الحديث المعبر عن تناقضات المرحلة الدرامية، التي وصلت إليها الحضارة العربية.

لقد اختار نجيب محفوظ منذ البداية الطريق الصعب، إذ لم ينقل لنا طائرا روائيا جاهزا في الأدب العالمي، ولم يطبق مذهبا فكريا بعينه، وإنما حاول أن يكشف الصيغة الجمالية الصحيحة، باختيار شتى الطرق الفنية والمذاهب الفكرية في أرض الواقع المصري، فالاتجاه التاريخي الذي نطالعه في مرحلته الأولى كان مشاركة رائدة في حركة الأدب الرومانسي، والاتجاه الواقعي في المرحلة الوسطى كان امتدادا إيجابيا لحركة الأدب الاجتماعي والاتجاه الفكري في مرحلته الأخيرة، كما نطلع لما يسمى حركة الأدب التجريدي.

مع العلم أنه ليست هناك فواصل ثابتة بين هذه الاتجاهات والمراحل فلعلنا نجد بروز المرحلة ما في مرحلة سبقتها، أو نكتشف جذور اتجاه في اتجاه تقدم عليه، ولكننا على الدوام نجد هذا الفنان الكبير في الطليعة من تطور الأدب المصري والعربي عموما، حتى أننا لا نستطيع القول، بأن أدبه في مجموعه هو حصيلة تجارب، لاتكاد التجربة الواحدة تتكرر، بل إن نجيب الكاتب لتغيرات الواقع المتلاحقة فيواصل التجريب من جديد.

كانت المرحلة الأولى من التجربة الروائية عند نجيب محفوظ ذات اتجاه

---

* كتب وسع توفيق الحكيم في المسرح الذهني وإليه يعود الفضل في إبداع هذا الجنس الأدبي، الذي نذكر منه: أهل الكهف، السلطان الحائر، السوالك السلام، بيجماليون، أو ديب الملك ...

تاريخي يمكن تسميته أيضا بالمرحلة الفرعونية، التي أنجبت ثلاث روايات وهي "عبث الأقدار" التي صدرت سنة 1934 تدور أحداث حول نبوءة ساحر عجوز تنبأ لخوفو بأن يجلس على عرش مصر أحد من ذريته بمن في ذلك وليّ عهده، وأن من سيتولى عرش مصر بعده طفل حديث عهد الوجود، هو ابن الكاهن الأكبر طعيد "أمون" ويبدأ تصاعد الأحداث في تحدي خوفو لهذه النبوءة ومحاولة قتل الطفل، لكن الأقدار تنتصر عليه، فلا يموت الطفل بل يصل إلى أعلى المراتب ويوليه خوفو بنفسه عرش مصر.

الرواية الثانية "رادوبيس" صدرت سنة 1939، رواية تقدم صورة الحاكم العابث، الذي يلقى حتفه واستبداده بسهام شعبه.

"كفاح طيبة" الرواية الثالثة صدرت سنة 1944، وهي الرواية الأخيرة من هذه المرحلة، تقابلنا من الصفحة الأولى الروح المصرية القوية التي تمجد الشعب المصري في استبساله، وعدم قبوله للذل والخنوع.

ما يلاحظ على هذه الروايات التاريخية"، أن نجيب محفوظ قد اعتمد على تيار الوعي القائم على القراءة المتأنية والعميقة للأحداث التاريخية ثم صياغتها في شكل يتماشى مع أحداث العصر المعاصر.

أما المرحلة الثانية من التجربة الروائية عنده، فقد كانت ذات طابع اجتماعي، بادئا استمرت في أغلبها بغزارة الإنتاج وتنوعه من حيث الأحداث والشخصيات، وأفضل عمل في هذه المرحلة هو ثلاثيته الشهيرة (بين القصرين، قصر الشوق، السكرية) التي سماها بعض النقاد برواية الأجيال وقد كتبها سنة 1956، لتصور حياة أسرة أحمد عبد الجواد عبر ثلاثة أجيال جيل الآباء في "بين القصرين" وجيل الأبناء في "قصر الشوق" وجيل الأحفاد في "السكرية" وتتناول في شبه مسح اجتماعي وتاريخي مفصل تطور المجتمع المصري من حيث التطور السيكولوجي والإيديولوجي فبين القصرين يمثل الإيمان المطلق بالقيم والخضوع لسيطرة الأدب وقصر الشوق يمثل مرحلة التردد بين الشك واليقين والحيرة بين المحافظة والتمرد أما السكرية